الطريق

الى ثوار المغرب العربي

بين أخاديدِ الجباه التي
رقدتُ فيها ميتاً ألف جيل
في النظرات السمرِ عطشي الى
أن تفجُر الينبوعَ .. في المستحيلْ
في الكلمات احترقتْ مرةً
على شفاه البؤس ..
صرعني غليل .
واشتعلت حمراءْ
تزدردُ الشقاء ..
تصنعه إرادةً كالقدر
شعباً تمطى من ظلام الحُفر
يقول للطغاة :
أنا .. أنا الحياة
من ألفِ فجرٍ .. في القبور اشتعلْ
من الزنود السمر .. بنتِ الأزل ..
عرفتُ دربي ..
لا تقل : ما العَمل ؟ (١)

* *

أتعصرُ الغيبَ .. سؤالاً يرودْ ؟
يمزق الصمتَ .. يدقُ القيود
يُلقي علينا عبئه : ما الطريق ؟
مَن نحنُ ؟
والأفقُ ظلام صفيقْ
يلفنا .. ينذرنا بالفناء :
للموتِ .. أحلام الجياعِ الظماء
للموتِ .. هذي « الكُتَلُ » الباليه
تجرح عينَ الشُرفِ العاليه
من نحن ؟
هل تجهلنا يا سَحَرْ
نحن لُهاثُ الأرض .
نحن القدرْ ..
اكواخنا .. عيون
ينتحر السكون
فيها على دمدمةٍ .. كالأجل :
ألشعبُ باقٍ ..
لا تقل : ما العملْ

* *

طريقُنا هذي الجباهُ الصلابْ
تسمَّرت فيها قرونُ العذاب
يُلقى اليها بالفُتاتِ .. الفُتاتْ
من شرفةٍ في القصرِ ..
باسم الحياةْ
من شرفةٍ بيضاءَ تشكو الأرق
اذا أنينٌ في الصدور احترق
ويصمتُ الأنين
أجائعُ الطعين
ويهدر الصمتُ .. بأذن الدهور :
للكوخ إرثُ الأرضِ .. لا للقصور .

* *

طريقُنا .
آمنت ان الطريق
وَعرٌ .. وأنّا حطبٌ في حريق
من نارنا ..
من حشرجاتِ الرماد
من شهقاتِ اليأسِ .. يُوري الزناد
يشدّنا فوق صخور الجهاد ..
من جائع ثارَ .. وعارٍ أراد
من الدماء .. اتصلت في عناد
ستكتبُ التاريخ
هذي البلاد ..

* *

هذي الملايين .. عبيدُ العصور
في قريتي منها .. بقايا قبور
رافقتها طفلاً .
أجرُّ العذاب
قصائداً .. أحرق فيها الضباب
قصيدتي الكبرى .. غضون الألم
في وجه فلاحٍ .. سقاني النغمْ

(١) جواباً على سؤال أحد مناضلي المغرب للجماهير المحتشدة في مؤتمر القوى الشعبية في الدار البيضاء ، وفيه ألقيت هذه القصيدة .

وعاملٍ كلّمني بالجراح
وأطعمَ القيثارَ جمرَ الكفاح
وقال لي :
نحن رفاقُ السلاح .

★ ★

ستائر «المنصور» (١) .. لم تحجبِ
عني ملايينك .. يا مغربي
غنيتهم جرحي بأقصى الشمال
في الشام .. في بغداد ..
جرحَ النضال ..
عشيرتي الثكلى .. وآهاتي
تعيش إعصاراً .. بأبياتي
في الريف .. في البيضاء .. في كل واد
ألبسة الحرمانُ ظلَّ الحداد ..
ستائرُ « المنصور »
لم تحجب القبور
تلفظ من فيها .. حشوداً حشود
هازمةً كالرعد
دوسوا القيود .
ويهدر السيلُ .. وتهوي السدود .
آمنتُ بالشعبِ ..
طريقِ الخلودْ .

★ ★

آمنتُ أنَّ الموجةَ الهادره
في الأعينِ المرهقةِ الحائره
في أرضنا السمراءِ ..
أرضِ العرب .
تصافح البيضاءُ فيها حَلب
في الموكب الطعين
يختصر السنين
يقول للأجيال :
طريقنا نضال ..
إن يحترق جيلٌ قذفنا بجيل
في لهب الثورة .. في المستحيل
حتى يدقَّ الفجرُ بابَ الجياع
مجلجلاً :
ماتت عصورُ الضّياع ..
ماتت .. على أقدامنا الثائره
لأهلها .. تربيتنا الطاهره
لمنبتيها .. أرضنا الصابره
لمن يروُّون الثرى بالعرق
بالدمع .. في لفح الشقاء احترق
آمنت أن الموجةَ الهادره
في أرضنا العطشى ..
هي الظافره ..

★ ★

يا مغربي الجبار مُدَّ الجناح
إنّا على الموعد .. تحت السلاح
ألصقرُ في « اوراس » دامي الحدَق
يقول للتاريخ :
تحتي الفلق ..
في مخلبي القدر
وفرحة الظفر
وترفع الجزائر الشراع
وينحني الصراع
لمعجزات القبضة الماردة
لدمنا ..
للصيحة الخالده ..
أوراس .. إنا أُمة واحده

★ ★

تمزّقت حيناً فكانت رقاع
منثورة عَبْرَ الدجى والضياع
بلى .. تمزّقنا ، فكنا حُطام
بلى .. مضغنا نيرنا ألفَ عا
وهزّت القبور
حشرجةُ العصورْ
هيهات .. يَثنينا اللظى والرصاص .
هيهات . هذي دربنا .. لا مناص
الوحدة الكبرى
طريقُ الخلاص .
ويرتمي صوتٌ ندي ، رقيق
على يدي ..
أشربه كالرحيق ..
ثائرةٌ سمراءْ
من بلد الفداء
تسأل عن موضعها . في الزحام
في الموكب الماضي ..
يشق الظلام .
أُختاه ! في عينيكِ عاش النهارَ
بوحيردٍ في الأفق نورٌ ونار
يا ألفَ نجم
في الصباح الندي
قافلة النصر به تهتدي
يا زهوةَ الأمسِ ..
وعرسَ الغدِ
يا أُختُ .. هذي دربنا لا مناص
يا أُخت .. أهلاً باللظى والرصاص
الوحدةُ الكبرى
طريقُ الخلاص ..

★ ★

لو زوَّروا الشمسَ ، وغالوا النجوم
وبرقعوا الليلَ .. ببيضِ الغيوم
لو سرقوا حنجرةَ الثائرين
ليتخموا الآفاق بالصائحين
لو موّهوا القيدَ بذوبِ السَّحرْ
وقدموه متعةً للنظر ..
لو صنعوا « الدُّمى »
لو سخّروا السما
والأرضَ .. لن تصمد تحت السماء
إلا ملايينُ العيونِ الظماء ..
إلا أخاديدُ الجباه الصلاب
إلا الذين اتحدوا .. في العذاب .

سليمان العيسى

الدار البيضاء في ٢٧ أيار ١٩٦٢

(١) الفندق الفخم الذي أضيف فيه الشاعر .